ستديو ثقافة شعبية

دلالتان

وقفة في الهور

شاي وموقد والقهوة .. تنتظر

حكاية شعبية روسية

ما الذي ينتقل أبعد؟

ترجمة/ عادل العامل

كان هناك ذات يوم فلاح أرمل يعيش مع أبنائه الثلاثة وزوجاتهم، وكان كل شيء على ما يرام، باستثناء أمرٍ واحد، وهو ان الزوجات لم يستطعن التآلف معاً، فكنَّ يتشاجرن باستمرار، لان كل واحدةٍ منهن كانت تريد ان تكون سيدة البيت.

وكانت كل واحدة منهن قادرة على ترتيب أمور البيتِ بشكلٍ طيب، وان تكون سيدة ممتازة.

وأخيراً، ضاق صدر الشيخ بشجار زوجات ابنائه، فاستدعى ابناءه ذات يوم، وقال لهم: "ان زوجاتكم يتشاجرن في كل يوم، فيقلبن البيت رأساً على عقب. ولابد من إيقاف ذلك. وقد قررت ان اختبرهن بلغزٍ من الالغاز، والتي تجد الحل منهن ستكون سيدة البيت.

وبعد هذا فقط، لن يكون هناك نزاع، فاذا وافقن على ذلك فان كل شيء سيجري على مايرام". وهكذا عقد الابناء لزوجاتهم اجتماعاً حول هذا الموضوع، فوافقت الزوجات على الشرط.

وعند المساء، تحدث الشيخ مع كنَّاته، قائلاً:

-"لقد وافقتن على حل لغزي، وإليكن اللغز، الذي يمكنكن التفكير فيه بقية الليلة- ما هو الشيء الذي ينتقل ابعد من كل شيء؟.. وغداً صباحاً، سأكون بانتظار اجوبتكن عليه، والتي تجيب بشكل صحيح، ستكون سيدة هذا البيت!"

وفي صباح اليوم التالي، استدعى الشيخ أبناءه وزوجاتهم، وسأل الكبرى:

- "ها ، هل توصلتِ الى جواب، يا أبنتي؟"

فأجابت الكنة الكبرى:

- "ان الذي ينتقل أبعد من كل شيء هو صوت الديك عندما يصيح عند الفجر وقت الربيع".

فقال الشيخ

- "أجل ، ان صوتَ الديك ينتقل بعيداً".

ثم التفت الشيخ الى الكنّة الثانية وسألها، قائلاً:

- "وانتِ، ما هو جوابك؟"

قالت:

- "انه نباح الكلب، فحينما ينبح الكلب عند الفجر وقت الربيع، فان صوته ينتقل ابعد من صياح الديك".

فقال الشيخ:

- "اجل، ربما أمكن سماع نباح الكلب حتى من مسافة أبعد".

ثم قال مخاطباً كنته الثالث:

- "وانت، ماذا سيكون جوابك، ايتها الكنة الصغيرة؟".

فأجابت زوجة الابن الثالث:

- "ذلك الشيء هو قولنا (أهلاً وسهلاً) للضيف، فالترحيب بالناس هو الذي ينتقل أبعد من كل شيء!"

فقال الشيخ

- "هذا هو الجواب الصائب، فالترحيب بالناس يمكن سماعه من على بعد آلاف الاميال! وأنت صاحبة الحق في أن تكوني سيدة هذا البيت!".

من المحرر

عن (الليالي) وسواها ان تقص مساو لأن تعيش!

باسم عبد الحميد حمودي

يقول تودوروف عن كتاب (الف ليلة وليلة) محللاً شيئاً من مكانته (إن جميع شخصيات هذا الكتاب لا تنفك عن القص فذلك يعني تقديساً سامياً لهذا الفعل، فان تقص مساوٍ لان تعيش، والمثل الاكثر صدقاً هو مثل شهرزاد التي سيحكم عليها بالموت إذا لم تجد قصصاً ترويها لشهريار، فالحكاية في هذا الكتاب تساوي الحياة وغيابها يساوي الموت وكم من ابطال في هذه الحكايات تعرضوا للهلاك ثم اشتروا حياتهم بحكايات طريفة رووها للعفريت أو الملك على سبيل الاقناع أوالتسلية).

هنا يضع تودوروف يده على مسلمة اساسية في طريقة التأليف الخاصة بحكايات الف ليلة وليلة اضافة للأسس الخاصة بالبنية التأليفية (الحكاية داخل الحكاية- المتاهة الحكائية- تجنيس الشخوص- عمليات القطع والمونتاج والتراكم).

واذا كان عنصر التشويق امراً ملازماً لطرق رواية المادة الحكائية في (الليالي) فان فردريك ديرلاين يقول في كتابه (الحكاية الخرافية) انه كلما توغل الإنسان في قراءة (الف ليلة وليلة) ازداد احساساً بانه يستسلم راغباً فيها طواعية فهي صورة واضحة للحياة الاجتماعية خلال ستة قرون، وقد تمنى ستاندال ان يمحو الله من ذاكرته حكايات الليالي كي يعيد قراءتها مراراً لكي لا يقع في اسر عادة المعرفة المسبقة.

واذا كانت هذه واحدة من أمنيات ستاندال المعبرة عن تلك الرغبة الجامحة في استعادة تفاصيل الليالي الدرامية فان الكثير من الكتاب والشعراء الذين قرأوا (الليالي) بلغات اقوامهم ظلوا يحتفظون بها تحت وسائدهم لاعادة الاستمتاع بها، وقد دخلت حكايات الليالي في الاداب العالمية بنماذج أخرى أو بتكرار النماذج الحكائية ذاتها مع صنع خطوط حركية ودرامية أخرى امعاناً في التشويق وصنع مادة ادبية جديدة استلهاماً من شخصيات واجواء تلك الليالي.

ان ذلك يدعو الباحثين لتكريس الاهتمام لا بكتاب (الف ليلة وليلة) وحده بل بسائر الحكايات والسير الشعبية واعادة قراءتها مراراً قراءات معمارية وفولكلورية وبنائية كما قرأ البعض من الباحثين ديوان الليالي وقرأ فارمر موسيقاها، وقرأ غيره تفاصيل أخرى عن الليالي وسواها من أساسيات المادة الدرامية الشعبية.

من أعلام الفولكلور

الأب أنستاس ماري الكرملي (١٨٦٦- ١٩٤٧)

عبد الجبار السامرائي
باحث فولكلوري

يعدّ أنستاس ماري الكرملي من رواد التراث الشعبي واعلامه الأول في العراق والوطن العربي، تجلى ذلك لنا من خلال مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، وفي مجلته ذائعة الصيت (لغة العرب)

الأب أنستاس ماري الكرملي

مجلته "لغة العرب" التي توقفت اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤- ١٩١٨) وقد ملأها بالمباحث والمقالات الفولكلورية، سواء باسمه الصريح أو المستعار أو من دون ظهور اسمه، فضلاً عن افساح المجال لأسماء أخرى كتبت فيها عن الموروثات الشعبية.

لقد كان للكرملي في بغداد صالون يدعى (صالون الكرملي)، يؤمه طلاب العلم والمعرفة وعشاق التراث الشعبي، كتب الاستاذ عبد القادر البراك (رحمه الله) عن الكرملي يقول:

(إن الأبَ انستاس ماري الكرملي) كان بغدادياً في استماعه للمقام العراقي والبستة، والتقاليد والأعراف التي يحترمها البغاددة ، والأمثال والحكايات التي يرددونها، وقد كتب في ذلك المقالات والرسائل العديدة، وقد دوّن الكثير من البستات والامثال والاساطير الشعبية والادوات والآلات.

وكان الكرملي يعتبر الملا عبود الكرخي المرجع الأول للغة العامية، والتي يعتبرها وريثة أعرق الحضارات التي نشأت في وادي الرافدين، وكان الى جانب هذا وذاك ، يستمع الى اشهر مقربي المقامات العراقية، وأحبهم اليه رشيد القندرجي).

ويضيق بنا المقام لو أردنا استعراض نتاجات الكرملي الفولكلورية فمن أراد الاطلاع عليها فليعد الى كتاب عنه، أصدره الاستاذ كوركيس عواد، رحمه الله، كذلك الاستاذ ميخائيل عواد، رحمه الله وللاستاذ الباحث الفولكلوري عامر رشيد السامرائي بحث بعنوان (الأب الكرملي والحياة الشعبية)، نشره في مجلة (التراث الشعبي) واعاد نشره في كتابه القيم (أسطورة عبد الله الفاضل ومقالات أخرى) ج١، ص(٧١- ٩٢)، طبع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ,٢٠٠٢ يقول الاستاذ ميخائيل عواد، رحمه الله عن اهتمامات الأب الكرملي بالتراث الشعبي: (بدأ اهتمامه بالأدب الشعبي أو بـ (الفولكلور) منذ ان بدا بالكتابة والبحث والتأليف، ولا شك في ان إطلاعه على اهتمام الدول المتحضرة وعنايتها بهذا الضرب من الأدب، كان له كبير الأثر فيما بحث وكتب وألف.. وقد شاهدت غير مرة الشاعر الشعبي عبود الكرخي رحمه الله تعالى ينشد من شعره ما لذ وطاب. وكان الأب الكرملي يسجل ما يسمعه من أفواه المتمهرين في ضروب الصناعات.. وكان الأب الكرملي قلما ينشد الشعر الشعبي، لكنه كان يتذوقه ويفهم معانيه، ولا يفوته السؤال عن كل امر غامض في هذا الميدان).

إننا هنا ومن منبر (المدى)نناشد وزارة الثقافة إقامة ملتقى للكرملي لمناسبة وفاته الستين التي صادفت يوم ٧ من كانون الثاني عام ١٩٤٧، لأن هذا الرجل خدم التراث الشعبي العراقي خدمة جليلة، مثلما خدم اللغة العربية خدمة كبيرة، حتى لُقب بـ(راهب العربية).

إن الواجب الوطني والأخلاقي يستلزم منا كعراقيين، الاحتفاء بعلماء العراق، الأحياء منهم والذين انتقلوا الى دار البقاء، وحينما نقيم لعبقري عراقي ملتقىً او ندوة وندعو لها نخبة طيبة من المهتمين بتراثه، فاننا لا نمن عليه أو على اسرته، وانما نؤكد تواصلنا، فلولا جهود من سبقنا لما كان لنا صوت مسموع، وللرواد الحق في ان تذكر، أسماؤهم، وان تطبع مجهوداتهم ويقتدى بآثارهم، كيما تفيد منها الاجيال، قال الشاعر العربي:

تلك آباؤنا، وذاك تراث الـ
مجدِ منهم باقٍ الى الأبناءِ
شرف في سماحة، وذكاءٍ
في وقارٍ، وقدوةٌ في وفاءِ

بلدانيات

النجف الأشرف

حسن عبد النبي

النجف مدينة لها قدسيتها ومنزلتها بين المدن حيث تضم ضريح الامام علي عليه السلام، وتقع هذه المدينة في طرف الصحراء من الجهة الغربية لنهر الفرات، جنوبي غربي بغداد، وعلى بعد (١٦٠كم) منها، وارضها مرتفعة عن مستوى سطح البحر بنحو (٢٣٠ قدماً).

واسم (النجف) عربي، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة ج٥/ ٣٩٥: النجف مكان مستطيل منقاد ولا يعلوه الماء والجمع (نجاف)، ويقال: هي بطون من الأرض في أسافلها سهولة تنقاد في الأرض لها أودية تنصب الى لين الارض.

ويقول الجوهري في الصحاح ١٤٢٩/٤: النجف والنجف (بضم ونصبها) مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد والجمع (نجاف).

اما الزمخشري في أسرارالبلاغة ٢٦/١ فيقول:

(.. وفي بطن الوادي نجفة ونجف، هي مكان مستطيل كالجدار لا يعلوه الماء).

وياقوت الحموي في (معجم البلدان)، ٤/ ٧٦٠ يذكرها فيقول:

(والنجف بالتحريك وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع سيل الماء يعلو الكوفة ومقابرها وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "رض" وقد ذكرته الشعراء في أشعارها).

النجف قبل الفتح العربي الاسلامي

كانت النجف قبل الفتح الاسلامي تنتشر فيها الاديرة المسيحية ومن اشهرها دير (فاتيون) في شمالها، ودير (مزعوق) في جنوبها، كما ذكره (الشابشتي) ص/١٤٩، صاحب كتاب الديارات.

كما كانت ديار الأساقفة تنتشر بظاهر الكوفة، وهو أول الحيرة وهي قباب وقصور، ومن الاديرة المشهورة ايضا (تقدير مارة مريم) المشرف على النجف، بين قصري (الخورنق والسدير) وكان الرهبان يسكنون بيوتا صغيرة في الاكيراج وهو نزه وستاق نزه بأرض الكوفة يحف بها نهر يعرف بـ (الغدير) وعن يمينه يقع قصر أبي الخصيب، مولى أبي جعفر، وهذا القصر أحد متنزهات الدنيا وهو مشرف على النجف، اضافة الى انتشار قصور متعددة في منطقة النجف وعلى ظهر الكوفة منها قصور القريب والعنبر، والابيض...

ان منطقة النجف كانت ولاتزال طيبة المناخ، اضافة الى انها كانت مصحة للاجسام ومنجاة من الامراض الوبيلة ويدلل على ذاك قول الشاعر ابراهيم الموصلي.

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف ... نحييّ داراً لسعدى ثم تنصرف
لم ينزل الناس من سهلٍ ولا جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أعذى من النجفِ
وما يزال نسيمٍ من يمانيةٍ ... يأتيك منها بريا روضةٍ أنف
كأن تربته مسك يفوح به
أو عنبر دافه العطار في صدفٍ

ويروي لنا "الجاحظ" في (البيان والتبيين) ٢/ ٢٠٣، ان رجلاً هرب من الطاعون الى النجف أيام (شريح القاضي) فكتب اليه (اما بعد فان الفرار لن يبعد أجلاً، ولن يكثر رزقاً وان المقام لن يقرب ابلاً ولن يقلل رزقاً وان النجف من ذي قدرة لقريب).

ويقول الجاحظ: هذا فضول من شريح - رحمه الله- فلو أتبع قوله : لم يستشف مريض، ولا استوصف طبيب، ولا شرب الدواء لدفع الداء ولا أحسن السكن والقذاء.

ومما يدل على طيب السكن في النجف الانتشار العمراني الواسع الذي اختصت به المنطقة دون غيرها من المناطق المجاورة، وكان الى جانب هذا السكن الحضري في النجف يوجد انتشار بدوي في اطراف الحيرة تمثله قبيلة (تغلب) التي هاجرت اليها بعد حرب (البسوس) وقبيلة (بكر) ومن فروعها قبيلة (شيبان) التي كانت لها مواقف مشهورة ضد الساسانيين.

والنجف اليوم تحتضن الروضة الحيدرية المطهرة حيث مرقد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويرجع تأريخ بنائها الى عهد الخليفة العباسي الرشيد، فقد تم تشييد قبر أمير المؤمنين-ع- بالآجر الأبيض، وفوقه قبة من الطين الاحمر، ثم زار المستنصر قبر الامام (ع) وشيد الضريح الشريف، وجدد بناؤه ايام المعتضد.

والروضة الحيدرية الشريفة اليوم بناء مربع الشكل طول ضلعه ١٣ م وأرضها مفروشة بالرخام الجيد، وما يعلو ذلك فقد كسي بالمرايا الملونة والفسيفساء والزخارف الهندسية البديعة، وفي وسط الحضرة صندوق من الخشب المرصع بالعاج، وتعلو القبر الشريف قبة مذهبة رائعة ترتفع (٣٥م) وللروضة ستة ابواب.

وللنجف الاشرف مكانة مرموقة مقدسة عند جميع المسلمين، حيث قبر الامام علي بن أبي طالب "ع" ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج ابنته فاطمة الزهراء البتول عليها السلام، فهو يستقبل الملايين القادمين من البلدان الإسلامية وغيرها للتبرك بهذا الضريح الكريم والتعطر بأريجه الخالد.

مدينة النجف الاشرف